من فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

فقد شرّفَ اللهُ عزّ وَجلّ نَبيَّه ﷺ أيَّما تشريفٍ ، وكَرّمه أعظَمَ تكريمٍ ، وجَعَل الصلاةَ على النبيّ صلى الله عليه وسلم عِبادةً وطاعة وقُربَة ، وأمَرَ الله عزّ وَجلّ بالصلاة على النبي ﷺ ، فقال اللهُ تبارك وتعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

قال ابنُ كثيرٍ رحمَهُ اللهُ : والمقصودُ مِن هذهِ الآيةِ : أنَّ اللهَ سبحانَه أخبرَ عِبادَه بِمَنْزِلةِ عَبدِه ونَبِيِّه عندَه في الملأِ الأعلى ، بأنَّهُ يُثْنِي عليه عندَ الملائكةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وأنَّ الملائكةَ تُصَلِّي عليه . ثم أمَرَ تعالى أهلَ العَالَمِ السُّفْلي بالصلاةِ والتسليمِ عليه ، لِيَجْتَمِعَ الثناءُ عليه مِن أهلِ العَالَمَينِ العُلويِّ والسُّفليِّ جميعا

قال ابنُ رجَبٍ : محبةُ الرَّسولِ تَبَعٌ لِمَحَبَّةِ مُرْسِلِه عزَّ وجَل . هذا كلُّهُ في امتثالِ الواجباتِ وتَرْكُ المحرَّماتِ . فإنْ تَعَارَضَ داعيْ النفسِ ومندوباتُ الشريعةِ ، فإنْ بَلَغَتِ المحبةُ على تقديمِ المندوباتِ على دَوَاعي النَّفسِ كانَ ذلكَ علامةَ كمالِ الإيمانِ وبلوغِهُ إلى درجةِ المقربينَ والمحبوبينَ المتقربينَ بالنوافلِ بعدَ الفرائضِ ، وإنْ لَمْ تبلغْ هذِهِ المحبةُ إلى الدرجةِ فهي درجةُ المقتصدينَ أصحابِ اليمينَ الذين كَملَتْ محبتُهُم ولم يزيدوا عليها . اهـ .

ما معنى الصلاةِ على النبي صلى الله عليه وسلم ؟

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : صَلَاةُ اللهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يُصَلُّونَ : يُبَرِّكُونَ . ذَكَرَه البخاري .

وقال الإمام الترمذيُّ : وَرُوِي عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ ، قَالُوا : صَلَاةُ الرَّبِّ الرَّحْمَةُ ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الِاسْتِغْفَارُ .

وقال البَغويّ في تفسيره : الصلاةُ مِن اللهِ الرحمةُ ، ومِن الملائكةِ الاستغفارُ للمؤمنين . اهـ .

وقد ذَكَر ابن القيم أكثرَ مِن ثلاثين فائدةً في الصلاة على النبي ﷺ ، وأذكُرُ منها مِن غيرِ الْتِزَام بترتيب ابن القيم :

الأولى : امْتِثَالُ أَمرِ اللهِ سبحانه وتعالى .

الثَّانِيَة : مُوَافَقَتُه سُبْحَانَهُ فِي الصَّلَاة عَلَيْهِ ﷺ ، وَإِن اخْتلفت الصَّلَاتَان ؛ فصلاتُنا عَلَيْهِ دُعَاءٌ ، وسؤالٌ وَصَلَاةُ الله تَعَالَى عَلَيْهِ ثَنَاءٌ وتشريف .

الثَّالِثَة : مُوَافقَةُ مَلَائكَته فِيهَا .

الرَّابِعَة : حُصُولُ عشرِ صلوَاتٍ مِن الله على الْمُصَلِّي مرّة .

الْخَامِسَة : أَنه يُرفَع عشرُ دَرَجَات .

السَّادِسَة : أَنه يُكْتبُ لَهُ عشرُ حَسَنَات .

السَّابِعَة : أَنه يُمْحَى عَنهُ عشرُ سيئات .

الثَّامِنَة : أَنه يُرْجَى إِجَابَةُ دُعَائِهِ إِذا قَدّمهَا أَمَامه ؛ فَهِيَ تُصاعِدُ الدُّعَاءَ إِلَى عِنْدِ ربِّ الْعَالمين عزّ وَجَلّ " وكان موقوفا بين السماء والأرضِ قبلَها " .

التَّاسِعَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لَشَفاعته ﷺ إِذا قَرَنَهَا بِسؤالِ الْوَسِيلَةِ لَهُ أَو أفْردَها . [كما في الذِّكْر الواردِ بعد الأذان] .

الْعَاشِرَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لِغُفرانِ الذُّنُوب .

الْحَادِيَةَ عشرَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لِكفايةِ اللهِ العَبْدَ مَا أهَمّه .

قَالَ أُبَيٌّ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي ؟ فَقَالَ : مَا شِئْتَ . قَالَ : قُلْتُ : الرُّبُعَ ؟ قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ : النِّصْفَ ؟ قَالَ : مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قَالَ : قُلْتُ : فَالثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ : مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا . قَالَ : إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ . رواه الترمذي ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ ؟ قَالَ : إِذَنْ يَكْفِيَكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ . رواه الإمام أحمد وابنُ أبي شيبة ، وهو حديثٌ حَسَن .

قال ابن القيم : وَسُئِلَ شَيخُنا أَبُو الْعَبَّاس عَن تَفْسِيرِ هَذَا الحَدِيث ، فَقَال : كَانَ لأُبَيّ بنِ كَعْب دُعَاءٌ يَدْعُو بِهِ لنَفسِهِ ، فَسَأَلَ النّبِيَّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : هَل يَجْعَل لَهُ مِنْهُ رُبْعَه صَلَاةً عَلَيْهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم . فَقَالَ : إِن زِدْت فَهُوَ خير لَك . فَقَالَ لَهُ : النّصْفَ . فَقَالَ : إِن زِدْت فَهُوَ خير لَك، إِلَى أَن قَالَ : أجعَلُ لَكَ صَلَاتِي كلَّهَا ، أَي : أجعَل دُعائي كُلَّه صَلَاةً عَلَيْك . قَالَ : إِذا تُكْفَى هَمَّك وَيُغْفر لَك ذَنْبُك ؛ لِأَن مَن صَلّى على النَّبِي ﷺ صَلَاةً صلّى اللهُ عَلَيْهِ بهَا عشرا ، وَمَن صَلّى الله عَلَيْهِ كَفَاهُ هَمَّه ، وَغَفَرَ لَهُ ذَنبَه . هَذَا معنى كَلَامِه رَضِي الله عَنهُ . اهـ .

وقَالَ المباركفوريُّ : أيْ : أصْرِفُ بِصَلاتِي عليكَ جميعَ الزمنِ الذي كنتُ أدعُو فيه لنَفْسِي .

وقَالَ : والْهَمُّ ما يَقْصِدُهُ الإنسانُ مِن أمرِ الدنيا والآخِرَةِ ، يعني إذا صَرَفْتَ جميعَ أزمانِ دعائك في الصلاةِ عليَّ أُعْطِيتَ مَرَامَ الدنيا والآخرةِ . اهـ .

الثَّانِيَةَ عشرَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لِقُرْبِ العَبْدِ مِنْهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَوْم الْقِيَامَة .

الثَّالِثَةَ عشرَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لِقَضَاء الْحَوَائِج .

الرَّابِعَة عشرَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لِصَلَاةِ اللهِ على الْمُصَلِّي وَصَلَاةِ مَلَائكَتِه عَلَيه .

الْخَامِسَة عشرَة : أَنَّهَا زَكَاةٌ للْمُصَلِّي وطهارةٌ لَهُ .

السَّادِسَة عشرَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لردِّ النَّبِي ﷺ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ على الْمُصَلِّي وَالْمُسلمِ عَلَيْهِ .

السَّابِعَة عشرَة : أَنَّهَا سَبَبٌ لطيب الْمجْلس وَأَن لَا يَعودَ حَسْرةً على أَهلِه يَوْمَ الْقِيَامَة

الثَّامِنَة عشرَة : أَنَّهَا تَنْفِي عَن العَبْد اسْمَ الْبُخْلِ إِذا صَلّى عَلَيْهِ عِنْد ذكره صلى الله عَلَيْهِ وَسلم

التَّاسِعَة عشرَة

الْعشْرُونَ : أَنَّهَا ترمي صَاحبَهَا على طَرِيق الْجنَّة ، وتخطئ بِتَارِكِهَا عَن طريقِها .

الْحَادِيَة وَالْعشْرُونَ : أَنَّهَا تُنْجِي مِن نَتِن الْمجْلسِ الَّذِي لَا يُذكرُ فِيهِ اللهُ وَرَسُولُه ، ويُحمدُ وُيثنى عَلَيْهِ فِيهِ ، وَيُصَلَّى على رَسُوله ﷺ .

الثَّانِيَة وَالْعشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبٌ لتمامِ الْكَلَامِ الَّذِي ابْتُدِئَ بِحَمْدِ اللهِ وَالصَّلَاةِ على رَسُولِه .

الثَّالِثَة وَالْعشْرُونَ : أَنه يَخرجُ بهَا العَبْدُ عَن الْجَفَاء .

الرَّابِعَة وَالْعشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبٌ لإِبْقاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ الثَّنَاءَ الْحسَنَ لِلْمُصَلِّي عَلَيْهِ بَين أهل السَّمَاء وَالْأَرْض ؛ لِأَن الْمُصَلِّيَ طَالبٌ مِن اللهِ أَن يُثْنِيَ على رَسُولِه ويُكرِمَه ويُشَرّفَه . وَالْجَزَاءُ مِن جِنسِ الْعَمَل ، فَلَا بُد أَن يُحصلَ لِلْمُصَلِّي نوعٌ مِن ذَلِك .

الْخَامِسَة وَالْعشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبُ الْبركَةِ فِي ذَاتِ الْمُصَلِّي وَعَمَلِه وعُمُرِه وَأَسْبَابِ مَصَالِحِه ؛ لِأَن الْمُصَلِّيَ دَاعٍ ربَّه يُبَارك عَلَيْهِ وعَلى آلِه ، وَهَذَا الدُّعَاء مستجاب ، وَالْجَزَاء مِن جِنْسِه .

السَّادِسَة وَالْعشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَيلِ رَحْمَةِ اللهِ لَهُ ؛ لِأَن الرَّحْمَةَ إِمَّا بِمَعْنى الصَّلَاةِ كَمَا قَالَه طَائِفَةٌ ، وَإِمَّا مِن لَوازِمِها ومُوجِباتِها على القَوْلِ الصَّحِيح ؛ فَلَا بُدَّ لِلْمُصَلِّي عَلَيْهِ مِن رَحْمَةٍ تَنالُه .

السَّابِعَة وَالْعشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبٌ لدوامِ محبتِه للرسولِ ﷺ وزيادتِها وَتضَاعُفِها ، وذلك عَقْدٌ مِن عُقُودِ الْإِيمَان الَّذِي لَا يَتمُّ إِلاَّ بِهِ ؛ لِأَن العَبْدَ كُلّما أَكْثَرَ مِن ذِكرِ المحبوبِ واستحضارِه فِي قلبِه واستحضارِ محاسِنِه ومعانِيه الجالِبةِ لِحُبِّه : تضَاعَفَ حُبُّه ، وتَزايَدَ شوقُه إِلَيْهِ ، وَاسْتولى على جَمِيعِ قلبِه ، وَإِذا أعرَضَ عَن ذِكرِه وإِحضارِ محاسِنِه بِقَلْبِه : نَقَصَ حُبُّه مِن قلبِه .

وَلَا شَيْءَ أقرَّ لِعَينِ الْمُحِبِّ مِن رُؤْيَةِ مَحبُوبِه ، وَلَا أقرَّ لِقَلْبِهِ مِن ذِكرِه وإِحضارِ محاسِنِه ، فَإِذا قَوِيَ هَذَا فِي قلبِه جَرَى لِسَانُه بِمَدْحِه وَالثنَاءِ عَلَيْهِ وَذِكرِ محاسنه ، وَتكونُ زِيَادَةُ ذَلِك ونُقصَانُه بِحَسبِ زِيَادَةِ الْحُبِّ ونقصانِه فِي قلبِه . والْحِسُّ شَاهِدٌ بِذلك .

الثَّامِنَة وَالْعشْرُونَ : أَن الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ سَبَبٌ لمحبّتِه لِلْعَبد ، فَإِنَّهَا إِذا كَانَت سَببًا لِزِيَادَةِ محبَّةِ الْمُصلّي عَلَيْهِ لَهُ ، فَكَذَلِك هِيَ سَبَبٌ لِمَحَبَّتِه هُوَ لِلْمُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ .

التَّاسِعَة وَالْعشْرُونَ : أَنَّهَا سَبَبٌ لِهدايَةِ العَبْدِ وحياةِ قلبِه ، فَإِنَّه كُلّما أَكثَرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ وَذَكَرَه ، واسْتَوْلَتْ مَحَبّتُه على قلبِه حتى لَا يبْقى فِي قلبِه مُعَارَضَةٌ لِشَيْء مِن أوامِرِه ، وَلَا شكَّ فِي شَيْء مِمَّا جَاءَ بِهِ، بل يَصيرُ مَا جَاءَ بِهِ مَكْتُوبًا مَسْطورا فِي قلبِه ، لَا يزَال يَقْرَؤُهُ على تعاقُبِ أَحْوَالِه ، ويَقتَبِس الْهُدَى والفلاحَ ، وأنواعَ الْعُلُومِ مِنه ، وَكلما ازْدَادَ فِي ذَلِك بَصِيرَةً وَقُوَّة وَمَعْرِفَة ازدادت صلَاته عَلَيْهِ ﷺ .

وَلِهَذَا كَانَت صَلَاةُ أهلِ الْعلمِ العارِفين بِسُنّته وهَدْيِه الْمُتّبِعين لَهُ على خلافِ صَلَاةِ الْعَوامّ عَلَيْهِ ، الَّذين حَظُّهم مِنْهَا : إزعاجُ أعضائهم بهَا ، ورفعُ أَصْوَاتِهم.

وَأما أَتْبَاعُه العارِفون بِسُنّتِه ، الْعَالِمُونَ بِما جاء بِهِ ، فَصَلاتُهم عَليه نوعٌ آخر ؛ فَكُلّما ازدادوا فِيمَا جاء بِه مَعرفَةً ، ازدادوا لَهُ محبَّةً وَمَعْرِفَةً بِحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ الْمَطْلُوبَةِ لَهُ مِن الله تَعَالَى .

وَهَكَذَا ذِكْرُ اللهِ سُبحانه ، كُلّما كَانَ العَبْدُ بِهِ أعرَفَ ، وَله أطوعَ ، وَإِلَيْهِ أحَبَّ ؛ كَانَ ذِكْرُه غيرَ ذِكْرِ الغافلين الّلاهِين .

وَفَرْقٌ بَينَ مَن يَذكُر صِفَاتِ مَحبوبِه الذي قد مَلَكَ حُبُّه جَمِيعَ قلبِه ، ويثني عَلَيْهِ بهَا ، ويُمَجّدُه بهَا ، وَبَين مَن يَذكُرهَا إِمَّا إثارَةً ، وَإِمَّا لفظا لَا يَدْرِي مَا مَعْنَاهُ لَا يُطَابِقُ فِيهِ قلبُه لِسَانَه ، كَمَا أَنه فَرْقٌ بَينَ بُكاء النائحةِ وبكاء الثكلى !

فَذِكْرُه ﷺ ، وَذِكْرُ مَا جَاءَ بِهِ ، وَحَمْدُ اللهِ سبحانه على إنْعَامِه علينا ومِنَّتِه بإرسالِه هُوَ حَيَاةُ الْوُجُود وروحُه .

الثَّلَاثُونَ : أَنَّهَا سَبَبٌ لِعرضِ اسْمِ الْمُصَلّي عَلَيْهِ ﷺ وَذِكرِه عِنْدَه ، كَمَا في قَوْلِه : "إِن صَلَاتكُمْ معروضةٌ عَليّ "

وَقَوله ﷺ : إِن الله وَكَّل بِقَبْرِي مَلَائِكَة يُبَلّغُوني عَن أمتِي السَّلَام " ، وَكفى بِالْعَبدِ نبْلًا أَن يُذكرَ اسْمُه بِالْخَيرِ بَين يَدي رَسُول الله ﷺ .

الْحَادِيَة وَالثَّلَاثُونَ : أَن الصَّلَاة عَلَيْهِ ﷺ أَدَاءٌ لأَقلّ الْقَلِيلِ مِن حَقّه ... مَعَ أَن الَّذِي يسْتَحقُّهُ مِن ذَلِك لَا يُحْصَى عِلمًا وَلَا قُدرَةً وَلَا إِرَادَةً ، وَلَكِن اللهَ سُبْحَانَهُ لِكَرَمِه رَضِي مِن عبادِه باليَسيرِ مِن شُكرِه وَأَدَاءِ حَقّه .

الثَّانِيَة وَالثَّلَاثُونَ : أَنَّهَا مُتَضَمّنَةٌ لِذكرِ اللهِ تعالَى وشُكرِه وَمَعْرِفَةِ إنعامِه على عَبيدِه بإرسالِه ؛ فَالْمُصَلّي عَلَيْهِ ﷺ قد تَضَمَّنتْ صلَاتُه عَليه ذِكرَ اللهِ وَذكرَ رَسُولِه . وسُؤالِه تعالى أَن يجْزِيَه بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَهلُه ، كَمَا عَرّفنَا رَبَّنَا تعالى وأسماءَه وَصِفَاتِه ، وهَدَانا إِلَى طَرِيقِ مَرضَاتِه ، وعَرّفَنَا ما لَنَا بَعدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ والقدومِ عَلَيْهِ ؛ فَهِيَ مُتَضمّنةٌ لِكلّ الْإِيمَان ، بل هِيَ مُتَضَمّنَةٌ للإقرارِ بِوُجُود الربّ الْمَدْعُوّ تعالى ، وَعِلمِه وسَمْعِه وَقُدرتِه وإرادَتِه وصِفَاتِه وَكَلَامِه ، وإرسالِ رَسُولِه وتصديقِه فِي أخبارِه كلِّهَا ، وَكَمَالِ

مَحَبّتِه ، وَلَا ريبَ أَن هَذِه هِيَ أصُولُ الْإِيمَان ؛ فَالصَّلَاة عَلَيْهِ ﷺ مُتضمّنةٌ لِعِلْمِ العَبْدِ ذَلِك ، وتصديقِه بِهِ ، ومحبّتِه لَهُ ؛ فَكَانَت مِن أفضلِ الأعمال .

الْفَائِدَة الثَّالِثَة وَالثَّلَاثُونَ : أَن الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ مِن العَبْد هِيَ دُعَاءٌ ، وَدُعَاءُ العَبْد وسؤالُه من ربه نَوْعَانِ :

أَحدهمَا : سُؤَالُه حَوَائِجَه ومُهمّاتِه ، وَمَا يَنُوبُه فِي اللَّيْل وَالنَّهَار ؛ فَهَذَا دُعَاءٌ وسؤال وإيثارٌ لِمَحْبُوبِ العَبْدِ ومَطلُوبِه .

وَالثَّانِي : سُؤَالُه أَن يُثْنِيَ على خَلِيلِه وحَبِيبِه صلى الله عليه وسلم ، وَيزِيدَ فِي تشريفه وتكريمه وَرَفْعِه .

وَلَا ريب أَن الله تَعَالَى يُحبُّ ذَلِك ، وَرَسُولَه يُحِبهُ ؛ فَالْمُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ قد صَرَفَ سُؤَالَه ورَغبتَه وَطَلَبَه إِلى مَحَابِّ اللهِ وَرَسُولِه ، وآثر ذَلِك على طلبِه حَوَائِجَه ومَحَابَّه هُوَ ، بل كان هذا الْمَطْلُوبُ مِن أحبِّ الْأُمُورِ إِلَيْهِ وآثرِها عِنْدَه ، فقد آثرَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُه على مَا يُحِبهُ هُوَ ، فقد آثرَ اللهَ ومَحَابَّه على مَا سِواهُ ، وَالْجَزَاء مِن جِنس الْعَمَل ؛ فَمَن آثرَ اللهَ على غَيره ، آثرَه اللهُ على غَيرِه

وَهَا هُنَا نُكْتَةٌ حَسَنَةٌ لمن عَلّم أمتَه دِينَه وَمَا جاء به ودعاهم إِليه وحضَّهم عليه ، وصَبرَ على ذلك وهي أَن النَّبِيَّ ﷺ لَهُ مِن الأجرِ الزَّائِد على أجرِ عملِه مثلُ أجورِ مَن اتّبَعهُ ؛ فالدّاعي إِلَى سُنّتِه وَدينِه والمعَلّمُ الْخَيْرَ للْأمّةِ إذا قَصَدَ توفيرَ هذا الْحَظِ على رَسُول الله ﷺ ، وَصَرفَه إليه ، وَكَانَ مَقْصُودُه بِدُعَاءِ الْخَلْقِ إِلَى الله التَّقَرُّبَ إليه بإرشادِ عبادِه ، وتوفيرَ أجورِ الْمُطِيعِين لَهُ على رَسُول الله ﷺ مَع تَوفِيتِهم أُجُورَهم كَامِلَة ؛ كَانَ لَهُ من الأجر فِي دَعوتِه وتعليمِه بِحَسبِ هَذِه النِّيَّة ، وَذَلِكَ فضلُ الله يؤتيه من يَشَاء ، وَالله ذُو الْفضلِ الْعَظِيم .

والله تعالى أعلم .